Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :11, N :01 – 20 May 2021

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 11، العدد 01 – 20 ماي 2021

في دلالة الوسيط الثقافي

In connotation of the cultural mediator

بن مزيان بن شرقي *

جامعة وهران2 / الجزائر (benmeziane.bencherki@univ-oran2.dz)

تاريخ الاستلام: 2021/01/02 ؛ تاريخ القبول : 2021/05/05 ؛ تاريخ النشر: 20 /05/ 2021

الملخص

تحتل اليوم وفي ضوء المتغيرات الثقافية السريعة التي فرضتها التكنولوجيات المعاصرة مهنة الوسيط الثقافي أهمية كبيرة في تكوين جيل جديد ممن يمكن اعتبارهم وسيطا ما بين ثقافتين: ثقافة يمكن أن نقول عنها كلاسيكية وثقافة تعتمد أدوات توصيل وتواصل قاعدتها التكنولوجيات الجديدة بمختلف أنواعها.

الكلمات المفتاحية: الوسيط الثقافي، الفن، الفن التطبيقي، الثقافة الطبقية

Abstract

Today, in light of the rapid cultural changes imposed by contemporary technologies, the profession of the cultural mediator occupies great importance in the formation of a new generation who can be considered a mediator between two cultures: a culture that we can say about classic and a culture that adopts communication tools and whose base communicates new technologies of all kinds

Key words: Cultural mediator, art, applied art, class culture

* **الباحث المُرسل:**

1.مقدمة:

تحتل اليوم وفي ضوء المتغيرات الثقافية السريعة التي فرضتها التكنولوجيات المعاصرة مهنة الوسيط الثقافي أهمية كبيرة في تكوين جيل جديد ممن يمكن اعتبارهم وسيطا ما بين ثقافتين: ثقافة يمكن أن نقول عنها كلاسيكية وثقافة تعتمد أدوات توصيل وتواصل قاعدتها التكنولوجيات الجديدة بمختلف أنواعها.

لقد اثبتت الأزمة الطبية لفيروس كورونا 19 أهمية وفعالية استعمال مثل هذه التكنولوجيات في مختلف ميادين الحياة بما فيها الميدان الثقافي. ولذلك يمكن التأكيد مبدئيا بأن مهنة الوسيط الثقافي أصبحت ضرورية في خلق روابط تواصل اجتماعي يسمح بلا شك بالتفكير فيما يمكن أن نسميه المجتمعات ما بعد كوفيد19 خاصة وأن مبدأ التباعد الاجتماعي أبانت في الفترة الأخيرة على ضرورة احترامها فكيف يمكننا أن نتصور مجتمعاتنا مستقلا؟ من جهة ثانية أن تباين الأجيال الذي يبدو جليا في تعاملاتنا اليومية بين جيل بعيد أو قليل في استخدامه للوسائل التكنولوجية الجديدة وبين جيل ينهض منذ نعومة أظافره على الاستعمال السلس والمكثف لهذه الوسائل يطرح علينا اليوم ضرورة التفكير بعمق فيما يمكن القيام به من طرق تربوية جديدة داخل العائلة والمجتمع للحفاظ على كينونة المجتمع نفسه كما تطرح طرق التوصيل والتلقين البيداغوجي ضرورة التكيف مع النوع الجديد من الثقافة حتى لا يكون مضيرنا شبيه بمصير جاكوتو الذي تحدث عنه جاك رانسيير في كتابه المعلم الجاهل. وعليه نرى من الضرورة أن نوضح مفهوم الثقافة، ومفهوم الفن لما لهما من ارتباط في فهم معنى الوسيط الثقافي وبعد ذلك نقدم تحليلا متواضعا لمفهوم الوسيط الثقافي.

- **ما هي الثقافة؟**

نواجه صعوبات جمة في تحديد مفهوم الثقافة نظرا لما يكتنفه من خصوصية في تعريفه خاصة حينما نجد أنفسنا نتعامل مع مفهوم حامل للتصورات فكرية ولعل مفهوم الثقافة هو أكثر المفاهيم صعوبة لأنه يتعلق بالخصوصية الفكرية الداخلة في بنية المفهوم نفسه إذ كثيرا ما نستسهل الأمر

ونجد أنفسنا أما مشاكل عسيرة. كثيرا من الصفات التي نطلقها أحيانا على بعضنا في صيغة أحكام كما هو الحال حينما نحكم على إنسان أنه غير مثقف ونحن نستعمل مفهوم الثقافة بدلالة التعلم، وأحيانا نستعمله بدلالة التحضر وهكذا نقع في صعوبات للتحكم في مفهوم كنا نظن أنه سهل التناول.

من جهة أخرى يختلط عندنا نحن دول الضفة الجنوبية من البحر المتوسط أو دول العالم العربي مفهوم الثقافة حينما يحمل دلالات تعبر عن تراث وأحيانا عن التاريخ ولا نعرف للتو بأن هذين المفهومين خضعا في دلالتهما القاموسية/ المعجمية للتغيرات لحقت ببنية المعنى الحامل للمفهوم نفسه لذلك يكون من الواجب مناقشة هذا المفهوم من البداية لكي نستطيع أن نفهم التصور الفلسفي للمهنة ومهام الوساطة الثقافية.

إن النتيجة التي يمكننا أن نخرج بها مما سبق ذكره أن الثقافة لا يمكن تعريفها إلا في مجالها التاريخي لتبين استعمالاتها المختلفة والمتنوعة فهي من حيث الاستعمال مفهوما مرنا يخضع للخصوصيات والتصورات الخاصة بكل أمة وبكل عصر. فالثقافة بمعنى Culture متأتية من الأصل اللاتيني colere والذي يعني به الزرع والتشريف بمعني Cultum.

إن كلمة cultura ظهرت في القرن11 وهذا الظهور جعلها تكتسي معاني متعددة يستحق كل مستوى التوقف عنده فمثلا بالنسبة للمعنى الفيزيائي ""هي فعل عمل الأرض لاستخراج الفاكهة (Godin, 2004,, p. 291)

وهذا المستوى هو الذي يجعل مفهوم الثقافة مشوشا لدينا حينما نلحظ في الحياة اليومية بعض الفروق المهنية بين إدراك ومعرفة ذوى المهن لحرفتهم أكثر من المتعلم يحصل لنا هذا في المقارنات اليومية التي نسمعها لدى البعض ولعل المثال الفرنسي "" حرفة أفضل من مستوى"" un métier mieux qu'un niveau تسير في هذا الاتجاه، لذلك يكثر الخلط بين التمكن وإدراك المهنة والتعلم.

أما في المعنى الفكري فلقد أتى به قديما شيشرون الفيلسوف الروماني وكان يعنى به فعل استخدام قدراته الذهنية لاستخراج نتائج التي لم تكن معطاة تلقائيا أي ما يمكن فهمه مجازا مجموع الفوائد المحصل عليها. فشيشرون (106–43 ق.م) هو الذي حول كلمة ثقافة culture (cultura)

لميدان الفكر بخلقه للتماثل بين حقل الروح وهو عمل الأرض والتعليم، كثقافة الروح، cultura) (animi والترجمة اللاتينية لمفهوم paidéia اليوناني لمزروعاته ومنتوجاته وبالكيفية نفسها التي ينزع فيها المزارع الأعشاب الضارة.

يمكننا أن نفهم بأن هذا المعنى غايته أن الثقافة تستأصل علل الروح، والروح هنا هو كل ما يتعلق بالعلوم المتصلة بالإنسان ومحيطه، لذلك نجد في حياتنا اليومية حضورا قويا لمثل هذا التصور حيث لا يمكننا أن نقول عن المتعلم أنه غير مثقف إذا إعتبرنا الجهل آفة لا يمكن علاجها إلا بالتعلم حينئذ يكون المتعلم مثقفا.

كما تعنى كلمة ثقافة في المعنى الإنثربولوجي حسبما ساقه تيلور مجموع المنتوجات المادية من تقنيات وفنون، واللامادية كالأساطير، والإعتقادات الخاصة بشعب مقابل الطبيعة. ولكن شرط أن نفهم هنا الطبيعة ليس بمعنى الفيزيائي بل الطبيعة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فحالة الجسم الذي نحن عليه يعتبر طبيعة لذلك كانت الرياضة ثقافة تعمل على تحويله من كيفية لأخرى.

إن المشكل في هذا التصور الانثربولجي أنه حين مقاربته نجده يختلط بمفهوم الحضارة وتبدو الثقافة حينها مرادفة للحضارة، الثقافة تميزت عنها بحقل توسعها الأصغر فنقول الثقافة وليس الحضارة العربية. وكذلك الحضارة الغربية تحوى أكثر من ثقافة.

يضع الألمان مقابل Kultur كتعبير داخلى روحي للأمة لما هو خارج الممارسات المتحضرة والذي "" أصبح مرافق لمفهوم الحضارة هذا المصطلح يعني مجموع التقاليد، والتقنيات والمؤسسات التي تطبع مجموعة بشرية. بهذه الصيغة الثقافة تصبح معيارية ومكتسبة من قبل الفرد منذ طفولته.

ولهذا جرى نقاش حول الطبيعة الإنسانية بين ما هو مكتسب وما هو وراثي حيث يتقاسم أغلب اعلماء الأثنولوجيا، وعلم الإجتماع رأي روسو لا يوجد من كائن بشري إلا بما هو متراكم من وسائل ثقافية، فالطبيعة الإنسانية تختصر في العمل بيولوجي]. حيث نلاحظ أن حتى السلوكات الظاهرة للعيان محددة طبيعيا كالأكل والنوم تتنوع من ثقافة لأخرى لذلك يقول موريس جودلبير ""إن البشر على نقيض الحيوانات الاجتماعية الأخرى، حياتهم ليست مجرد حياة في مجتمع، وإنما هم

ينتجون ليعيشوا فيه" (كاريذرين، 1998، ص 20) حينما يطبق على الفرد كلمة الثقافة يثير عادة مجموع المكتسبات الفكرية(بالخصوص الأدبية والفنية).

في هذا المعنى خاصة منذ القرن 19 نتحدث عن وجود ثقافة طبقة مثلا الثقافة الجماهيرية تعني الأمل في إعطاء لكل السكان مهما إختلفت فوارقهم الاقتصادية، إمكانية الإطلاع على الأعمال œuvres ... أو بالعكس ما يلحق ثقافة أصيلة حينما تذاع بوسائل إتصال جماهيرية. (RUROZOI, 1997, p. 94)

يفيدنا هذا التعريف الأخير في التفرقة بين مستويات للثقافة أو أنواع الممارسة الثقافية فهناك على سبيل الذكر لا الحصر:

1-الثقافة الجماهيرية: وهي مجموع التمثلات والخيارات التي تطبع مجموعة كبيرة من الأفراد في مجتمعات ديمقراطية معاصرة والتي هي في نفس الوقت تعبر عن نفسها بواسطة وسائل الإعلام الجماهيرية.

2-الثقافة الطبقية: مفهوم له أصول ماركسية يعني مجموع الكيفيات الكائن، والتفكير، والعمل التابعة لطبقة

3-الثقافة العامة: في مقابل الثقافة الخاصة والمتخصصة (Godin, 2004,, p. 291).

- **ما معنى الفن (Souriau، 2006)**

إن مفهوم الفن يلحق به نفس ما يلحق مفهوم الثقافة بل في بعض الأحيان يتحدان لدرجة يصعب فكها في من حيث البنية الأيتمولجية والتى تعنى المعرفة بالعمل تأتي في اللاتنية كلمة فنars وفي اليونانية teknê هما أصل المفهوم الحديث الذي نحمله عن الفن كart ويعنى في التصوريين اللاتيني واليوناني كل النشاطات الناتجة عن مهارات غير وراثية ولكنها مكتسبة بالتعلم لأجل علم ما أو تقنية أو مهنة.

ولكن في الفهم الواسع نعنى بالفن "" مجموع الطرائق التي تنتج نتيجة ما كما هو الحال حينما نتحدث عن الفنون الميكانيكية أو فنون الطبخ. حتى أنه في القرون الوسطى يسمون الفنون الحرة مجموع الدراسات المتعلقة بالفلسفة والتي كانت تشمل على : الفنون الثلاثية(القواعد، الخطابة

والمنطق) والفنون الرباعية(على الحساب الهندسي، الهندسة، الفلك والموسيقى)، ولكن الفهم الأكثر تداولا هو ما يتعلق بعلم الجمال أو الإستطيقا esthétique والتي تسمى موضوعها بالفنون الجميلة beaux–arts حينها أصبح مفهوم الجميل والجمال la beauté هو موضوع الفنون ولكن هذا التصور قد يضعنا في حيرة من أمرنا حينما نتتبع تطور المفهوم الذي يجعل من القبيح موضوعا لعلم الجمال. ولكن هذا التصور للفن على أساس الجمال خلق تفاوتا كبيرا لبعض التعابير الفنية التي تخضع للخصوصية ومفردات متعلقة بشعوب دون أخرى مما جعله يذهب في إتجاه التطبيقات العملية ولذا أصبح الفن يهتم حتى بالقبيح le laid .

وفي القرن الماضي ظهرت تسميات تستدعى منا التوقف حينما نسمعها كما هو الحال مع الفنون البدائية أو الفنون الشعبية وإن كانت هذه التصنيفات تنم عن تصنيف أوروبي لشرعية الفن علما أن الإهتمام الأخير بهذه الفنون كتعابير فنية وكفن خالص ترافق مع حس تارخي بضرورة إعادة النظر في مثل هذا الترتيب.

سجلت النهضة مشكلة جديدة تتعلق بالتصنيف الجديد للفنون فقائمة الفنون الحرة أصبحت تضم: الشعر، الموسيقى، الرسم، النحت، الهندسة المعمارية، والنقش، في الفترة من القرن 17 لغاية القرن 18 ولذلك فالمدرسة الأكاديمية المؤسسة من قبل مزران Mazarin أخذت إسم مدرسة الفنون الجميلة سنة 1793 ولكن في حدود القرن 19 بدءانا نقول فنون أو فنون جميلة بينما أكتفينا في القرن 20 بفنون فقط. فالفن هو النشاط الابداعي الذي يستوجب وجوده التحتكم بالصفات الجمالية. هذه الصفة للفن تميزه عن العلم كما يمكننا أن نميزه كذلك عن طريق وسائل التقنية والتي لها غاية عملية ولكن القرن التاسع وعشر تجاوز هذا الطرح بإستحداثه لجملة من المفاهيم الفنون التزينية والفنون التطبقية

- **ما معنى الوساطة الثقافية؟**

تاريخيا الوساطة الثقافية ليست بالمهنة الجديدة لقد كان للعرب مثلا شعراء يعبرون وينقلون تصوراتهم الثقافة كما لعبت طرق التجارة والتبادلات نفس الدور فكان التاجر وسيطا ثقافيا وقبل قبلنا ذلك، لدى اليونان، لعب الفلاسفة نفس الدور، ولكن مع تقدم العصور تغيرت القنوات خاصة مع الإنتقال مفهوم الكتابة والطباعة فكانت المطبوعات وسيطا ثقافيا موازية للتجارة، ولكن كان كل ذلك يحتاج لمدة زمانية تفوق أكثر مما يتصوره العقل، ولعل القرون الوسطي خاصة الأوربية منها كشفت لنا عن مدى انحصار مفهوم الوساطة الثقافية في مجموعة من الآباء الذين كانوا ينقلوا وتنقل عن طريقهم المنتوجات الثقافية.

هذه المهمة أعطت الصورة المثلي لمفهوم الوسيط الثقافي في حلة الوسيط الديني وهي مهنة تشكلت حولها كل الثقافة الكنسية في القرون الوسطى ولم يتم فك مشكلة الوساطة الثقافة إلا حينما تفطن مفكري عصر النهضة لضرورة تأسيس مؤسسات خاصة تدير النشاط الثقافي كطريقة وحيلة لنزع المعالم الثقافية من الآباء. لقد أعطى عصر النهضة الانطباع بأن الوساطة لصيقة بالمؤسسة وأصبحت المؤسسة حينها تكتسي طابع الإدارة للفنون لذلك لعب المسرح والمتحف ولا حقا السينما أدوار الوسائط الثقافية لمدة زمانية طويلة.

وداخل الثقافة العربية لم يهتم البحث بالوسيط الثقافي ربما لأن الثقافة العالمة لم تكن من الاهتمامات الكبيرة ولكن قراءة التاريخ الثقافي يكشف لنا بأن القرن 18 و19 لعبت النوادي الثقافية كمؤسسة عامة أو خاصة دور الوسيط الثقافي فداخل بيت مي زيادة وجبران خليل وداخل نادي الترقي بالعاصمة الجزائر وعلى شرفات مقاهي القاهرة وتونس ودمشق كانت الثقافة مجالا للتداول، ولكن تاريخيا لعبت قصور الملوك مثل هذا الدور فالقصر الملكي لم يكن فقط قصرا للسكن بل كان قصرا لسماع الموسيقى والشعر ولتبادل الأفكار.

كل هذه المحطات تعلقت بها الثقافة والفنون عموما قبل أن تستخدم التكنولوجيات المعاصرة، ولعل أول عامل تكنولوجي أحدث نقلة ثقافية هو ظهور الراديو ثم بعده التلفزيون وبالرغم من أنهما وسلتين حديثتين إلا أنهما لعبا دورا مهما في إيصال ونقل الفعل الثقافي، ولكن ما أحدثته التكنولوجيا

المعاصرة جعل الفعل الثقافي أمام طريقين: طريق الانكماش للمؤسسة الثقافية ودور السرعة في إيصال الفعل والحدث الثقافي.

فمن جهة الانكماش نلحظ بأن عزوفا لحد الانقطاع الكلي في بعض البلدان عن المؤسسات الثقافية كما هو الحال عندنا بالنسبة لقاعات السينما لما أصابها جراء ذيوع الآلات التكنولوجيا كما هو الحال مع فيديو وغيره من الأدوات المعاصرة الأكثر تطورا، مع أن لهذه الوسائل دور إيجابي من حيث سرعة الاتصال كما الحال مع الحوامل التكنولوجية للمعلومات.

أمام وضع كهذا تحل مهمة دور الوسيط المعاصر للثقافة، ولعل هنا يجب الانتباه بأننا نستخدم دور الوسيط المعاصر ولا نعنى وسيط الثقافة المعاصرة لأن هناك فرق كبير بين المهمتين. حيث أن مهمة الوسيط المعاصر لا تنحصر فقط في الثقافة المعاصرة بل في كل البناء الثقافي الذي يشكل منتوجا ثقافيا ماديا أو غير مادي وهو كوسيط معاصر عليه أن يستحدث من الوسائل المعاصرة قناة لإيصال المنتوج الثقافي فلا يكون والحال هذه الحامل سوى وسيلة علما أن هذا الحامل نفسه لا يجب أن يكون كما قد نفهم حاملا معاصرا بل أنه يعمل ضمن إستراتجية معاصرة فإذا كان القصر قديما يلعب دور القناة نلحظ اليوم بأن السياحة وهي قناة معاصرة تلعب دور أهم من القصر بل أنها حولت القصر نفسه كمنتوج ثقافي لمعلم سياحي وهذه نقطة يجب الإنتباه إليها لأنها مهمة خاصة بالنسبة لنا نحن شعوب الضفة الجنوبية.

الخاتمة:

إن مهنة الوسيط الثقافي لم يشر إليها المشرع الجزائري من حيث النصوص التنظيمة ولكننا يمكننا أن نجد لها صلة فيما يتعلق بالمؤسسة الثقافية كما هو الحال مع المنشط الثقافي والموجه السياحي والمتدخل التجاري ومحافظ البيع كل هذه المهن منظمة في إطار التشريع الجزائري تحت هذه التسميات و كلها بإمكانها أن تلعب دور الوسيط الثقافي.

قائمة المصادر والمراجع:

Godin, C. (2004,). *Dictionnaire de philosophie.* Fayard.

RUROZOI, G. e. (1997). *Dictionnaire de Philosophie.* Nathan.

Souriau, E. (2006). *Vocabulaire d'esthétique.* PUF.

مايكل كاريذرين. (1998). *لماذا ينفرد الانسان بالثقافة ص 20* (الإصدار ع 229). (ترجمة شوقي جلال، المحرر) عالم المعرفة.